المشرق

براءة رسولية

في جواز مناولة القربان الاقدس في الطقسين

(تعريب جريدة البشير)

بيوس الاسقف

عبد عبيد الله للذكر المخلد

انها لعادة عريقة في القدم بقيت مدة طويلة من الزمن مرعية في الكنيسة ان المؤمنين المسافرين يتبعون بطيبة خاطر العادات والطقوس الدينية التي كانت تختلف لاختلاف الامكنة بشرط ان لا يكون فيها ما يُشتمُّ منهُ رائحة الاعتقادات الباطلة والعبادة الوثنية. وكان ذلك معمولاً بهِ لتوثيق عرى الوئام والاتحاد بين اجزاء الكنيسة الكاثوليكية الواحدة المتعددة اي بين الكنائس الخصوصية حسبما قال القديس لاون التاسع: « ان العادات المختلفة لاختلاف الامكنة والازمنة لا تحول دون خلاص المؤمنين اذا كان يربطهم جميعاً بالله الواحد ايمان واحد يعمل بالمحبة كلٌّ ما يستطيع عملهُ »

وقد كانت الضرورة تقضي بذلك فان الذين كانوا يسافرون الى البلاد الغريبة لم يكونوا يجدون فيها اغلب الاوقات لا معابد ولا كهنة من طقسهم الخاص. وكان هذا يجري في منح الاسرار او قبولها وخصوصاً سرّ القربان المقدس كما كان يجري في سائر الامور المختصة بالعبادة الالهية. ولذلك كان مسموحاً للكهنة والطلبيين المسافرين المصحوبين بالشهادات الرسمية ان يقدّموا الذبيحة الالهية او يتناولوا القربان المقدس في كنائس الذين ليسوا من طقسهم. وكان الاساقفة والكهنة والشمامسة اللاتينيون يشتركون هنا في رومية مع اليونانيين في تقدمة الذبيحة الالهية كما ان اليونانيين في الشرق كانوا يقدسون مع اللاتينيين وقد بلغ هذا الامر من الشهرة حدًّا بعيدًا بحيث اصبح العمل بخلافه جديرًا ان يكون دليلًا على زوال وحدة الايمان او اتفاق القلوب

ولكن بعد ان فصل الانشقاقُ المحزن عن مركز وحدة الكنيسة الكاثوليكية قسماً عظيماً من الشرق المسيحي لم يعد مسموحاً بحفظ تلك العادة الصالحة. فانه لمّا اخذ مخائيل كرولاريوس ليس فقط يطعن الطعن الذميم بعادات اللاتينيين وطقوسهم بل يعلم ايضاً جهاراً ان التقديس على الخبز الفطير غير جائز بل باطل قام الاحبار الرومانيون بما تقتضيه وظيفتهم الرسولية ولكي يُبعدوا عن اللاتينيين خطر هذا الضلال حرموا عليهم التقديس والمناولة على الخبز الخمير لكنهم سمحوا لليونان المرتدّين الى الوحدة والايمان الكاثوليكي ان يتناولوا على الفطير عند اللاتين. وقد كان ذلك في تلك الازمنة والامكنة مفيداً بل ضرورياً لانهُ حينئذٍ لم يكن يوجد غالباً اساقفة متّحدون بكرسي القديس بطرس ولم يكن يوجد في كل مكان كنائس كاثوليكية للشرقيين. فكان يُخشى من ان الكاثوليك الشرقيين اذا لم يُسمح لهم بالمناولة عند اللاتينيين يذهبون الى كنائس واساقفة المنفصلين فيعرّضون نفوسهم لخطر اكيد على ايمانهم

ثم ان تغيّر الاحوال السعيد الذي حصل نوعاً اذ تمت المصالحة بين الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية في مجمع فلورنسة أحيا بعض الاحياء النظام القديم. فان اباء المجمع المذكور قد قرّروا ان تقديس جسد المسيح هو صحيح سواء كان على الخبز الفطير او على الخمير وانهُ يجب الكهنة ان يقدسوا جسد الرب على الفطير او

على الخمير كل حسب عادة كنيسته الغربية او الشرقية . لكنهم قد زادوا بهذا الحكم تأييد الحقيقة الكاثوليكية في صحة التقديس على الفطير والخمير ولم يقصدوا اقل القصد منع المؤمنين من المناولة في الطقسين . بل لا ريب في انهم سعوا بها رغبة في توفيق عرى السلم والوئام . يؤيد ذلك الرسالة المهمة التي كتبها ايزيدوروس مطران كياف وكل روسية بعد ختام مجمع فلورنسة الذي كان له فيه اليد الطولى وحيث كان ممثلاً لدورو ثاوس البطريرك الانطاكي وقد وجه تلك الرسالة سنة ١٤٤٠ من مدينة بردا بصفة كونه نائب الحبر الاعظم في ايتوانية وليثونية وسائر الاصقاع الروسية الى جميع الخاضعين لكنيسة القسطنطينية . فتكلم فيها عن الاتفاق السعيد بين اليونانيين واللاتين قال :

« استحلفكم بسيدنا يسوع المسيح ان لا يقوم الشقاق من الآن فصاعداً بينكم وبين اللاتين لانكم جميعاً عبيد سيدنا يسوع المسيح وباسمه تعمدتم . ولهذا يجب على اليونانيين اذا وجدوا في ناحية اللاتين واذا كان في ناحيتهم كنيسة لاتينية ان يحضروا القدوس الالهية عندهم ويسجدوا لجسد الرب يسوع ويكرموه بخشوع كما يفعل كل واحد في كنيسته الخاصة ثم ان يتعرفوا بخطاياهم للكهنة اللاتين ويقبلوا من ايديهم جسد الرب . وكذلك على اللاتين ان يحضروا القدوس الالهية في كنائس الروم ويسجدوا فيها بإيمان حي لجسد يسوع المسيح لان هناك جسد المسيح حقيقة سواء كان قد قدسه كاهن يوناني على الخمير او كاهن لاتيني على الفطير . بما انه يحق له الاكرام عينه سواء كان تحت الفطير او الخمير . وليعترف ايضاً اللاتين عند الكهنة اليونانيين وليتناولوا من ايديهم لان لا فرق بين الفريقين . هكذا قرر المجمع الفلورنتيني في جلسته العمومية في ٦ حزيران سنة ١٤٣٩ .

على انه وان كانت شهادة ايزودوروس تثبت ان مجمع فلورنسة قد سمح للمؤمنين بالمناولة في الطقسين فلم يعمل بهذا السماح في ما بعد لا في كل الامكنة ولا دائما . وذلك خاصة لان الروم لم يلبثوا ان نقضوا اتحادهم فلم يكن محكماً . فلم يبق من داع يحمل الاحبار الرومانيين على الاعتناء بحفظ انعام مجمع فلورنسة الذي ذكره ايزودوروس . لكنه قد بقيت عادة المناولة في الطقسين محفوظة في امكنة عديدة حتى عهد سلفنا بنديكتوس الرابع عشر فانه برسالته « Etsi pastoralis » التي وجهها الى الايطاليين اليونانيين بتاريخ ٢٦ ايار سنة ١٧٤٢ كان اول من حرم لاسباب صوابية ان يتناول الطقسيون اللاتين على الخمير من ايدي الكهنة اليونانيين وسمح لليونانيين الذين لا خورنية لهم ان يتناولوا على الفطير عند اللاتين . اما في

الاماكن التي انتشرت فيها عادة المناولة في الطقسين وكان يقطنها اليونانيون واللاتين معاً ولكل من الفريقين كنائس خاصة فقد عهد الى الاساقفة ان لم يتمكنوا من منع تلك العادة دون اثارة الشعب ومن شواعره ان يسعوا في منع ذلك بغاية اللين بحيث ان اللاتين يتناولون دائماً على الفطير واليونانيين على الخمير. وقد امر سلفنا في ما بعد ان ما كان قد قرّره بشأن اليونانيين الايطاليين يتناول ايضاً الملكيين والاقباط

وقد عمّت تلك الاحكام جميع الشرقيين شيئاً فشيئاً والاصح انها عمّت بحكم العادة لا بمقتضى قانون خاص. على ان ذلك لم يمنع الكرسي الرسولي ان يمنح بعض الاحيان اللاتينيين ما كان مرارًا عديدة رضي بل سمح به اي ان الشرقيين الذين لهم كنائس خاصة هم انفسهم وبدون حاجة ماسّة يتناولون على الفطير

وقد حصل ذلك خصوصاً بعد ان دفع حبّ النفوس المضطرم بعض العائلات الرهبانية من رجال ونساء الى ان تتوجه من انحاء اوربة الى الاقطار الشرقية حيث ساعدت الكاثوليك من كل الطقوس بانشاء الكثير من اعمال المحبة المسيحية في ما بينهم وفتح المدارس لتثقيف الشبيبة في كل مكان. ولما كان ابناء تلك الرهبانيات بسبب الاقتراب المتواتر من الافخارستيا يعيشون عيشة هنيّة في وسط المصاعب والمتاعب فقد اثاروا دون عناء حبّ الاقتداء بهم في قلوب كثير من الشرقيين المعروفين بشدّة ميلهم الى التقوى والعبادة. ولما كان هؤلاء يصعب عليهم تحقيق رغبتهم تلك لدى ذويهم لبعد الاماكن او لقلّة وجود الكهنة والهياكل او لاسباب طقسية اخرى متنوعة فقد التمسوا بالحاح من الكرسي الرسولي ان يسمح لهم بالمناولة في الطقس اللاتيني فاجاب الكرسي الرسولي بعض احيان هذا الالتماس. فانهُ قد سمح لطلبة العلم في مدارس اللاتين وايضاً لغيرهم من المؤمنين الذين يحضرون القداس في كنائسهم وهم مشتركون في الاخويات التقويّة ان يتناولوا لداعي العبادة في بحر السنة في كنائس اللاتين القربان الالهي الذي يكون قد كرّسه الكهنة اللاتين بشرط حفظ حقوق خوارنة الرعايا ولا سيما ما يتعلق بالمناولة الفصحيّة والزاد الاخير

وزد على ذلك انهُ في المجمع الفاتيكاني عينهِ بين المباحث التي بحثت فيها اللجنة الخصوصية المعينة للاهتمام بشؤون الطقوس الشرقيّة قد كانت هذه وهي على يحسن

ان تخفف بعض التخفيف شدة القوانين الكنسية المتعلقة بمنع اختلاط الطقوس خصوصاً في مناولة القربان الاقدس وان يسمح للمؤمنين بان يتناولوا على الطقسين. واذ كان آباء اللجنة المذكورة حكموا بان يسمح بذلك وضعوا قراراً بهذا المعنى. لكن غوائل ذلك الزمن قضت باخلال المجمع قبل ان تسمح الفرصة بعرض القرار على موافقة عموم الاباء. ثم ان جمع انتشار الايمان المقدس المختص بالطوائف الشرقية كي يحقق رغائب اولئك الذين كانوا يضطرون غالباً الى الامتناع عن المناولة لعدم وجود كنائس او كهنة من طقسهم اصدر حكماً في ١٨ آب ١٨٩٣ وفيه تنشيطاً على المناولة المتواترة قد رخص لجميع المؤمنين سواء كانوا من الطقس اللاتيني او الشرقي الذين ليس لهم حيث يقطنون كنائس او كهنة من طقسهم ان يتناولوا حسب طقس كنيسة المحل بشرط ان تكون كاثوليكية وذلك ليس فقط عند ساعة الموت او في عيد الفصح لكن في اي وقت كان تدفعهم فيه التقوى الى المناولة

ثم ان سلفنا لاون الثالث عشر السعيد الذكر في رسالته (Orientalium dignitas Ecclesiarum) قد متع بهذا الانعام كل الذين لا يمكنهم لبعد المسافة ان يذهبوا الى كنائسهم بدون مشقة ثقيلة. لكنه في الوقت عينه حرم في المدارس اللاتينية حيث تكون عدة تلامذة شرقيين ان يتناول هؤلاء في الطقس اللاتيني وامر ان يكون هناك كهنة من طقسهم يقدسون ويوزعون عليهم المناولة اقله في ايام الآحاد والاعياد المأمور بها وذلك مع الغاء كل انعام سابق. لكن قد دلت الخبرة بعد ذلك على انه لا يتيسر في كل مكان الحصول على كهنة شرقيين فانهم لانشغالهم في عمل آخر بخدمة النفوس لا يمكنهم في الآحاد والاعياد حتى وفي غيرها من الايام ان يحضروا الى كنائس اللاتين ويوزعوا على الطلبة والطالبات الخبز الملائكي التائقين اليه

ولهذا السبب تواترت العرائض الى هذا الكرسي الرسولي لكي يخفف من شدة قوانين الكنيسة في هذا الامر الخطير. وبعد ان اصدرنا بتاريخ ٢٠ ك١ سنة ١٩٠٥ بواسطة لجنة المجمع التريدنتيني المقدس حكمنا الذي بدؤه (Sacra Tridentina Synodus) في المناولة اليومية كثرت تلك الترسلات من قبل

الشرقيين الذين يسترخصون الانتقال الى الطقس اللاتيني كي يسهل عليهم الاغتذاء بالقوت السماوي. وبين اولئك عدد عديد من الفتيان والفتيات كانوا يرغبون رغبة شديدة التمتع بالانعام نفسه

فنحن بما اننا نعتبر ان عقيدة الايمان الكاثوليكي بصحة تكريس الخبز الفطير والخبز الخمير هي ثابتة ومسلَّم بها لدى الجميع ونعتقد فوق ذلك ان الكثيرين من اللاتينيين والشرقيين يستغربون بل يستثقلون ذلك النهي عن المناولة في اي كان من الطقسين وبعد ان استشرنا مجمع انتشار الايمان المقدس المناطة به شؤون الطقوس الشرقية ودقّقنا النظر في هذا الامر قد رأينا الغاء كل القرارات التي تمنع او تقيد حرية الاختيار بين الطقسين في مناولة القربان المقدس. ونسمح لجميع الشرقيين واللاتينيين ان يقتاتوا بسرّ جسد الربّ المجيد اما على الفطير واما على الخمير من ايدي الكهنة الكاثوليكيين وفي الكنائس الكاثوليكية من اي طقس كانت حسب عادة الكنيسة في القدم حتى " ان جميع الذين يُطلق عليهم اسم مسيحيين اجالًا وافرادًا يتفقون ويتحدون يوماً في هذا السرّ رمز الوفاق والاتحاد "

واننا لعلى ثقة بان الاحكام التي قررناها هنا سيكون منها لابنائنا الاعزاء في الامصار الشرقية من اي طقس كانوا فائدة عظيمة جدًا ليس فقط لاحترام تار العبادة في قلوبهم بل ايضاً لترشيخ عرى الوفاق فيما بينهم. اما من حيث العبادة فلا يخفى على احد ان القربان الالهي الذي اعتاد اباء الكنيسة اللاتينيون واليونانيون ان يسمّوه خبز الانسان المسيحي اليومي من حيث انهُ يغذي ويقوي بنوع ما صحّة النفس تكون الحاجة الى مناولته امسّ عند الذين تكون فيهم المحبة والايمان اعني مبدئي الحيوة الفائقة الطبيعة عينيها قد اصبحا في خطر اعظم

ولذلك ان الكاثوليك الشرقيين المضطرين ان يعيشوا في وسط المنفصلين لا يلحق هذا الاختلاط الخطير ضررًا بايمانهم ومحبتهم اذا اعتادوا ان يتقووا بهذا القوت السماوي بل انهم يشعرون بانتعاش ونمو الحياة الروحية فيهم. اما ما يتعلق بالامر فقد تبيَّن جليًّا بما جرى حتى الان ان اناساً متحدين ايماناً ولكن مختلفين طقساً قد ينجم بينهم دواعي منافسة واختلاف بسبب ان البعض يسهل لهم اكثر من البعض الآخر ان يتناولوا جسد المسيح. اما الآن فبما اننا نريد ان جميع المؤمنين

يشتركون حسب اي طقس شاءوا في هذه المائدة المقدسة التي هي رمز واصل ومبدأ الوحدة الكاثوليكية فلم يبقَ ريب في انهُ يجب ان يزداد فيما بينهم وفاق القلوب كما قال الرسول « انا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لاننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد (١ كور ١٠ : ١٧)

فهذا اذاً ما نقرّرهُ ونثبتهُ بملْ سلطتنا الرسولية :

١ً في اقامة القداس الالهي لا يجوز للكهنة ان يخلطوا بين طقس وطقس . فعليهم ان يكرسوا ويناولوا سرّ جسد الرب كلٌّ حسب رتبة طقس كنيسته

٢ً عند ما تمسّ الحاجة ولا يوجد كاهن من طقس آخر يجوز للكاهن الشرقي الذي يستعمل الخمير ان يناول القربان المقدس المكرس على الفطير وكذلك يجوز للكاهن اللاتيني او الشرقي الذي يستعمل الفطير ان يناول على الخمير . ولكن على كل منهم ان يستعمل رتبة طقسه في المناولة

٣ً يجوز لجميع المؤمنين من اي طقس كانوا ولداعي العبادة ان يقبلوا سرّ القربان الاقدس المكرس في اي طقس كان

٤ً يفي كل مؤمن بوصية المناولة الفصحية اذا قبلها في طقسه ومن يد خوريه الذي يبقى دون ريب مطيعاً لهُ في اتمام سائر واجباته الدينية

٥ً يجب ان يقبل المحتضرون الزاد الاخير في طقسهم الخاص ومن يد خوريهم الخاص . اما في حالة الضرورة فيجوز ان يقبلوه من يد اي كاهن كان . ولكن على الكاهن ان يناول حسب طقسه

٦ً كلُّ يابث في طقسه الاصلي حتى ولو اعتاد المناولة حسب طقس آخر مدة طويلة من الزمان . ولا يسمح لاحد ان يغير طقسهُ الّا لاسباب عادلة شرعية يكون الحكم فيها لمجمع انتشار الايمان المقدس المختصّ بشؤون الشرقيين . ولا يدخل في هذه الاسباب عادة المناولة على طقس آخر مهما طالت مدتها

وكلما قرّرناه وحدّدناه واعطيناه في هذه الرسالة نريد ونأمر ان كل الذين يعنيهم يحفظونهُ بكل تدقيق ولا نسمح بالجدال فيهِ ولا بانتقاصهِ او خرق شيءٍ منهُ لاي سبب كان ولو خارق العادة وباي حجة او باي اسم كان بل نريد ان يحصل على مفاعيله الكاملة التامّة دون ان يمنع ذلك الاوامر الرسولية السابقة حتى التي صدرت في

الجامع العامة والاقليمية ولا ايا كان من العادات والرسوم ولو كانت مثبتة بالسلطة الرسولية او بسلطة سواها فهذه كلها ابطلناها ونبطلها

واننا تحقيقاً لما سبق ننقض ونأمر ان تُنقض كل تلك العادات والرسوم نقضاً صريحاً خاصاً كما لو كنا ذكرناها في هذه الرسالة كلمة بكلمة وكذلك ننقض كل ما يخالف ما قرّرناه

هذا واننا نريد ان تُنسخ هذه البراءة اذا كانت مطبوعة ومهورة بتوقيع المسجل وبختم احد الموظفين الكنسيين هي عينها يكون لها نفس القوة التي لبراءتنا هذه

اعطي في رومية بقرب القديس بطرس سنة الف وتسعماية واثنتي عشرة للمسيح في عيد ارتفاع الصليب وهي العاشرة لحبريتنا

الكردينال اغلياردي
رئيس دائرة الختم الرسولي

الكردينال غوتي
رئيس مجمع انتشار الايمان

المناولة الحرّة في الكنيسة الكاثوليكيّة

بفضل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر

نظر لاهوتي تاريخي تأليف لويس شيخو اليسوعي

كان السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر ببنّته العالية وسموّ نظره وحسن تدبيره قد رفع شأن الكنيسة الكاثوليكية الى اوج العزّ فصارت بساعيه كالسراج على المنارة يضيء ضوءها لكل من يطلب النور او كالمدينة على الجبل لا تخفى عظمتها على احد ايّاً كان

فلمّا قام من بعده على كرسيّ هامة الرسل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيدًا وجّه نظرهُ خصوصاً الى المؤمنين المتبتين في اقطار العالم ليرعى كلّ الخراف الناطقة الموكولة الى همته في انجع مراعي الخلاص